

ثبوت القدر وحقيقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ. قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْحَدِيثُ التَّاسِعُ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { كُلُّ شَيْءٍ يَقْدِرُ حَتَّى الْعَجْزَ وَالْكَيْسَ } رَوَاهُ مُسْلِمٌ. بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- { كُلُّ شَيْءٍ يَقْدِرُ حَتَّى الْعَجْزَ وَالْكَيْسَ } الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ مُتَقَارِبَانِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ فِي هَذَا الْكَوْنِ إِنْ يَقْدِرَ اللَّهُ تَعَالَى؛ حَيْثُ قَدْرُ وُجُودِهِ وَقَدْرُ وَقْتِهِ وَزَمَانِهِ الَّذِي يَحْصُلُ وَيُشَاؤُ، وَأَرَادَهُ وَكَوَنَهُ وَخَلَقَهُ بِأَمْرِهِ وَبِقَضَائِهِ وَبِقَدْرِهِ، يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْعَجْزَ وَالْكَيْسَ. الْعَجْزُ: التَّاقْلُ عَنْ فَعْلِ الشَّيْءِ، وَالْكَيْسُ: هُوَ الْحَزْمُ وَالْقُوَّةُ وَالنِّشَاطُ فِي فَعْلِ شَيْءٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا شَكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ مَقْدَرَةً فَإِنْ رَبَّنَا سَبَّحَهُ وَتَعَالَى أَعْطَى إِلَيْهِ إِنْسَانَ، وَمُكْنِهِ وَجَعَلَ لَهُ قُوَّةً وَقَدْرَةً يَبْرُأُ إِلَيْهَا الْأَشْيَاءُ؛ وَلَذِكْرِي يَمْدُحُ الْكَيْسَ وَيَذْمُمُ الْعَاجِزَ فِي الْحَدِيثِ الْمُشْهُورِ: { الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَيَعْ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَوْمَنَى عَلَى اللَّهِ } فَالْكَيْسُ هُوَ الْحَازِمُ الْقَوِيُّ التَّشِيطُ فِي أَمْوَارِهِ، وَالْعَاجِزُ الْمُتَكَاسِلُ الْمُتَوَانِيُّ الْمُتَبَاطِئُ عَنْ فَعْلِ الشَّيْءِ؛ أَيَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِي أَمْرِ دِينِهِ، أَوْ فِي أَمْرِ دُنْيَاِهِ. أَخْبَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَانَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الَّذِي قَدِرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ فِي حَدِيثٍ: { أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ أَوْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الْقَلْمَ وَقَالَ لَهُ: اَكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَيْوْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَرِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ بِأَمْرِ اللَّهِ } مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَوْجُودَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ. كُلُّهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، كَمَا شَاءَ وَهُوَ أَمَّ الْكِتَابِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُبْيِثُ مَا عِنْدَهُ أَمْ الْكِتَابِ } يَعْنِي الْلَّوْحَ الْمَحْفُوظَ؛ الَّذِي هُوَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ مِّنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُسْتَقْبِلَةِ الَّتِي تَوْجَدُ، وَالَّتِي قَدْ مُضِتْ وَأَنَّهَا كُلُّهَا بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِيجَادِهِ وَتَقْدِيرِهِ. { كُلُّ شَيْءٍ يَقْضَى وَقَدْرُ }؛ الْقَدْرُ: قَدْرَةُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَهْلُ السَّنَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَحْدُثُ إِنْ يَقْدِرُهُ اللَّهُ؛ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَأَنَّ مَنْ أَثْبَتَ أَشْيَاءً تَحْدُثُ بِغَيْرِ قَدْرَةِ اللَّهِ إِنْ يَتَنَقَّصُ اللَّهُ، وَيَجْعَلُ قَدْرَةَ الْمَخْلُوقِينَ أَقْوَى مِنْ قَدْرَةِ الْخَالِقِ تَعَالَى، وَلَا شَكَ أَنَّ فِي هَذَا إِدْخَالَ لِلنَّفْصِ وَالْعَيْبِ وَالْعَجْزِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَذِكْرِي الْأَصْلُ أَنَّ قَدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَامَةٌ لِكُلِّ الْمَوْجُودَاتِ.